الدين الصناعي

للدكتور محمد البهي

الأستاذ بكلية أصول الدين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد أمين في مجلة الثقافة رقم ٢٢ بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٩ يشرح الدين الصناعي ويحدده

وقد تناوله من ناحيتين : من ناحية ماهيته ومن ناحية أخرى وهي مظهره العملي أو ناحية التدين به

فأما من الناحية الأولى فقد وصفه بأنه « كصناعة النجارة والحياكة يمهر فيها الماهر بالحذق والمران

... ويحمل صاحبه على أن يحيا به ويتاجر به ويحتال به

... ويحمله على أن يلوي الدين (الدين الحق !!!) ليخدم السلطان ويخدم السياسة »

أما مظهره العملي في نظره فهو : « ... عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام

... هو نحو وصرف وإعراب وكلام وتأويل

و « الشهادة » فيه إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه

وأخيراً هو ... تحسين علاقة صاحبه بالإنسان لاستدرار رزق أو كسب جاه أو تحصيل مغنم أو دفع مغرم »

وعهدي بكتابة الأستاذ أحمد أمين أن تكون لغاية إيجابية تقصد ، وعهدي بأسلوبه في التفكير أن يكون مرتب الفِكَر يصل بالقارئ إلى تلك الغاية بدون مشقة أو تكلف

قرأت مقال « الدين الصناعي » مرة ثم كررت القراءة لأقف على الغاية العلمية التي يبغيها الأستاذ الكبير ، لأن اتجاهه العلمي في أبحاثه هو الذي حملني على أن أطلب هذه الناحية أولاً فلم أحرج منه بالعناصر التي تكون الطابع العلمي للبحث والتي من بينها بل وأخصها « الاعتبار العام »

فما ذكره على أنه مظهر « الدين الصناعي » ليس له صفة العموم في كل بلد تدين بالإسلام أو تدين أكثريته به . فما (العمامة الكبيرة والقباء الذي يلمع والفرجية الواسعة الأكمام) ليست من مظاهر التدين الحقيقي أو الصناعي بين مسلمي الهند أو مسلمي شرق أوربا مثلاً في عصرنا الحاضر . ولم أعرف أن (النحو ، والصرف وإعراب الكلام والتأويل) رمز العمل الذي يتناوله محترف الدين أو صاحب الدين الصناعي في أي بلد إسلامي ، في مصر أو في غيرها من البلدان الأخرى ، كما لم أعرف أن « الشهادة » عنده هي (إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه) .

نعم قد يتناول الباحث اللغوي مثل هذا العمل ، كأي راغب آخر في بحث موضوع بعينه قد يتناوله ويعالجه من جهات لا تلذ لبعض القراء أو يقل ميل السامع إلى الإصغاء إليها ، ولكن ذلك لا يدل على تفاهة البحث في ذاته فضلاً عن دلالته إذا ما تناوله رجل ينتسب إلى الدين على أنه مظهر تدينه أو عنوان احترافه بالدين

الأستاذ أحمد أمين ، كثيراً ما كتب أيضاً في بعض النواحي الاجتماعية والخلقية في مصر ، وكثيراً ما حاول في كتابته علاج تلك النواحي بعد الدقة في وصفها وتشخيصها . لهذا عمدت بعد عجزي عن محاولة جمع العناصر التي تكوّن الطابع العلمي من مقاله «الدين الصناعي» ، إلى التفتيش عن الظاهرة الاجتماعية التي يريد الأستاذ علاجها أو عن المعنى الخلقي الشائع الذي يبني شرحه ليوقف قراءه على شيء جديد لا يستطيع الرجل العادي أن يهتدي إليه

عرضت أمام نظري ، مستعيناً بالمشاهدات ، المظاهر الاجتماعية المألوفة في مصر التي يبدو فيها النقص والتي قد تؤخذ على أمة تطلب الكمال في معاني المدنية ، وعرضت كذلك كثيراً من الصفات السلبية للخلق السائد فينا

حقاً وجدت « تحايلاً » وكفاحاً حاداً من طبقات مختلفة حول هذا التحايل . وجدت تحايلاً باسم « البحث العلمي » وتحايلاً باسم « حرية الفكر » وتحايلاً باسم « الديمقراطية » وتحايلاً باسم «الدين» . كل طائفة تبني قضاء رغباتها الخاصة ، وكل تسلك هذه

الطريق ، طريق « التحايل » ، مستغلة سذاجة الشعب وجهله .

فكما يسند « التحايل » و « الاحتراف » و « الاتجار » إلى الدين فينشأ بهذا الإسناد ما عنون له الأستاذ با « الدين الصناعى » يجوز أن تسند كذلك إلى نظائر الدين مما يحترف به فى مصر ويتحايل ويتجر به فيها من البحث العلمى ، وحرية الفكر ، والديمقراطية ... الخ ويصح أن ينشأ أيضاً عن هذه النسبة ما يسمى بالبحث العلمى الصناعى ، وحرية الفكر الصناعية ، والديمقراطية الصناعية ... الخ

فليس إذاً « التحايل » الذى جعله الأستاذ مقوم الدين الصناعى ومكوناً لأهم جزء من ماهيته خاصاً (بالدين الصناعى) ولا يتحتم أن يكون مصدره صاحب العمامة الكبيرة والقباء اللامع والفرجية الواسعة الأكمام ، ولا من يتناول الأبحاث اللغوية أو يشرح التآليف، بل يصح أيضاً أن يكون صاحب البحث العلمى الحر أو من يهيم بأدب الإغريق وفلسفتهم أو خطيب المحافل السياسية

وإذا فالدين الصناعى ليس هو الظاهرة الاجتماعية التى يجب أن تعالج ، ولا صاحب العمامة الكبيرة هو الملوم فى إحداث هذه الظاهرة، وإنما الذى يجب أن يداوى هو «التحايل والاحتراف» بأى موضوع من موضوعات الثقافة : الدين أو العلم أو السياسة الخ . والملوم فى ذلك هو جهل الأمة ، وعدم استطاعتها وضع مقاييس صحيحة للقيم الرفيعة .

ولما لم أتبين الظاهرة الاجتماعية التى ، ربما ، أراد الأستاذ علاجها فى « الدين الصناعى » وحده كما لم أنجح فى تكوين طابع علمى لمقاله هذا، غلب على ظنى أن الأستاذ ربما أراد أن يمتع قراءه بقطعة أدبية ، وأن يهيىء لهم لذة نفسية من وراء جمالها الرائع، وكثيراً ما يكون ذلك مقصد الأديب فى الشرق .

والأستاذ أحمد أمين خرق ماله من الأبحاث العلمية والاجتماعية أديب فنان !

محمد البهى
دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس
من جامعات ألمانيا

من أدب العمد

لغـــة الادارة ...

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

وقع فى يدى صباح الأمس خطاب لأحد عمد كرالبوليس كان قد أرسله إلى أبى رحمه الله فى سنة ١٩١٥ وهو يومئذ عمدة البلد يخبره فيه أن نزاعاً حدث بين أخته وزوجها ويطلب إليه أن يفصل فى هذا النزاع ، وفى آخر الخطاب يقول : « والحذر من التأخير » !

لا أعلم ماذا كان وقع هذه الجملة على سمع العمدة ؛ والغالب أنه حملها باسماً على محمل السذاجة والجهل ؛ ولكنى أعلم أن هذه الجملة لا توجد إلا فى قاموس الإدارة فأين وقع عليها هذا الجندى المسكين ؟ لقد كان يعمل فى أقسام القاهرة ، وكان يلاحظ أن هذه الجملة البليغة لازمة رسمية تختم بها الرسائل والطلبات الصادرة من المأمور إلى الجمهور ، فرسخ فى ذهنه من طريق القدوة الحسنة أن هذا هو الأصل فى التحرير ، لكل صغير وكبير !

هل تظن ياسيدى القارئ أن هذه العبارة ، سقطت من لغة الإدارة، بعد أن انتشر التعليم ، فى المواسم والأقاليم، وشاع الذوق الكتابى والخطابى بين كل الناس ، من حامل القلم إلى حامل الفاس ؟ لقد رجعت إلى دفتر الإشارات التليفونية الصادرة إلى عن المركز فى شهر مايو الماضى فوجدتها سبعين إشارة، ثلاثة أرباعها ينتهى بهذه الجملة التقليدية : « والحذر من التأخير » والربع الباقى ينتهى بعبارات مختلفة ، منها : « وإلا فالمسئولية شديدة » ، « فلا تلومون (كذا) إلا أنفسكم » ، « ومن يهمل سننظر فى أمره بشدة » ... الخ الخ . فقلت فى نفسى : عجيب ! أيمر على خطاب (الجاويش مرسى) ربع قرن ولم يتول الكتابة فى خلاله للمأمورين. والمعاونين كاتب من حملة البكالوريا يعلم سادتنا (الكتاب) ، آداب الخطاب ، ويفهمهم أن هذه اللهجة وإن صلحت للخفير فلا تصلح للعمدة ، لأن العمدة يمثل الحكومة فى بلده ، كما يمثلها المأمور فى مركزه ، وإذا كان بينهما فرق فهو أن المأمور يعمل مأجوراً مشكوراً، والعمدة يحمل متطوعاً ومتبرعاً. فهل يجوز أن يكافأ على ما يتحمله من المسئولية والمشغولية والغرامة، بحرمانه من الأجر والشكر والكرامة ؟!

حسن عبد العزيز الدالى
عمدة كفر دميره القديم